الإسلام كما أنزل

ماذا يعني انتمائي للإسلام

كتبه غريب الديار

رأينا من قبل أن الإسلام هو أن يسلم المرء نفسه كليا لله وحده, فلا يأتمر بغير أمر الله, وهذا هو الدين الحق, لأن الله هو وحده من خلقنا وخلق الكون من عدم ونحن ملكه سبحانه ولذلك علينا أن نطيعه حصريا فلا أحد يستحق أن يطاع سواه.

ما سبق واضح وبسيط وحقيقي, ولكن ترجمته عمليا ليس بالأمر السهل كما قد يتبادر للذهن لأول وهلة, وسوف أحاول في هذه السطور بيان ماذا يعني انتمائي للإسلام وذلك من خلال المحاور التالية

- ماذا يعني انتمائي للإسلام
- تأثير انتمائي للإسلام على هويتي
- تأثير انتمائي للإسلام على نظرتي للدنيا
- تأثير انتمائي للإسلام على أخلاقي
- تأثير انتمائي للإسلام على علاقاتي الاجتماعية
- تأثير انتمائي للإسلام على حياتي الفكرية
- تأثير انتمائي للإسلام على حياتي السياسية
- تأثير انتمائي للإسلام على حياتي الاقتصادية

ماذا يعني انتمائي للإسلام؟

عند أغلب الناس, الانتماء للإسلام يعني مجرد أن يقول المرء لا إله إلا الله وحسب, فالذي يقول لا إله إلا الله مسلم وإن اكتفى بمجرد قولها

أي أنه يقتصر على مجرد التلفظ بلا إله إلا الله, لأن الإسلام في نظر الناس مجرد جزء من التراث, كما سبق وبينا عند الحديث عن حكم شعوب العالم الإسلامي في وقتنا الراهن.

أما إذا أردت معرفة ماذا يعني انتمائي للإسلام في الوحي وتأملت تعريف الإسلام الذي هو أن يسلم المرء نفسه كليا وحصريا لله بحيث يكون صادقا حين يخبر عنه نفسه طائعا أمرا الله:

‹قُل إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحيايَ وَمَماتي لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ۝لا شَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المُسلِمينَ› [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

لأدركت أن حقيقة الإسلام عميقة جدا, فانتمائي الإسلام يعني الانسلاخ من كل شيء بما فيه نفسي وتسليمها لله عز وجل, أي أنه يعني ثورة على الذات وعلى المحيط وعلى المجتمع وعلى التقاليد والعادات وعلى الأنظمة البشرية كلها وتسليم النفس لبارئها .

يتجلى هذا المعنى, أي الثورة على الذات وكل شيء في البيعة التي يقوم بها المرء حين يسلم نفسه لله والتي أخبرنا عنها ربنا في قوله:

‹إِنَّ اللَّهَ اشتَرى مِنَ المُؤمِنينَ أَنفُسَهُم وَأَموالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ فَيَقتُلونَ وَيُقتَلونَ وَعدًا عَلَيهِ حَقًّا فِي التَّوراةِ وَالإِنجيلِ وَالقُرآنِ وَمَن أَوفى بِعَهدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاستَبشِروا بِبَيعِكُمُ الَّذي بايَعتُم بِهِ وَذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظيمُ› [التوبة: ١١١]

فبعد هذه البيعة لم يعد يحق لك أن تقول: نفسي ...

نعم, فنفسك لم تعد لك فقد بعتها لله, وهذا يعني إنعدام الأنا, فلم يعد لك الحق في أن تقول أنا, لأنك لم تعد ملك نفسك فقد بعتها لله

بعد هذه البيعة لم يعد يحق لك أن تقول: مالي ...

نعم, فقد بعت مالك لله عز وجل ولم يعد ملكك, أي أنه لم تعد لك ملكية شخصية بالمعنى الفعلي للكلمة, وإنما صرت مستخلفا في مال اللّه الذي اشترى منك تتصرف فيه وفق ما يأمرك به سبحانه وليس وفق ما تريد أنت.

بعد هذه البيعة لم يعد لديك ولاء سياسي أو قبلي أو أسري بالمعنى الحرفي للكلمة, فكل ذلك إنما هو لله عز وجل لأنه ضمن نفسك التي بعتها لله سبحانه

إذن الانتماء للإسلام أمر عظيم جدا لأنه تغيير جذري في الإنسان تذوب خلاله الأنا ويحقق العبد فيه العبودية المطلقة لله عز وجل, وإليك بعض ما يعنيه انتمائي للإسلام عمليا.

تأثير انتمائي للإسلام على هويتي

إن أول تأثير للإسلام علي هو كونه يسلبني هويتي الجاهلية ويبدلني بها هوية جديدة تعكس الإسلام, فأنا من اليوم الذي أسلمت فيه أصبحت مسلما لله, هذه هي هويتي وتعريفي وأكفر بأي هوية سواها.[1]

من اليوم أصبح انتمائي للإسلام أي لله ولم يعد لوطن أو قبيلة أو تراث أو أي هوية جاهلية أخرى، وأصبحت أنظر لمن حولي بناء على هويتي الجديدة, فالناس عندي تنقسم إلى قسمين كما أخبرني ربي :

﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُم فَمِنكُم كافِرٌ وَمِنكُم مُؤمِنٌ وَاللَّهُ بِما تَعمَلونَ بَصيرٌ﴾ [التغابن: ٢]

مؤمن وكافر

المؤمن أخي أنا منه وهو مني أحبه وأواليه, والكافر بريء منه لست منه ولا هو مني, ولا قسم ثالث.

إن مسألة الهوية في الإسلام مسألة في غاية الأهمية, حيث أن الإسلام يجب أن يترجم عمليا إلى هوية وهذا هو ما نعبر عنه بمفهوم الولاء والبراء, فالولاء للمنتمين لهوية الإسلام والبراء من الكافرين المنتمين لهوية الجاهلية على اختلاف أنواعها.

تأثير انتمائي للإسلام على نظرتي للدنيا

لعل تأثير انتمائي للإسلام على نظرتي للدنيا هو أبلغ تاثيرات على نفسي, وذلك لكون انتمائي للإسلام يترجم عمليا بإرادة الآخرة وترك الدنيا

هذا يعني في الإسلام يمكن أن يكون المرء مريدا للدنيا, أو مريدا للآخرة, ولا احتمال ثالث فهما دارين متناقضتين تماما يستحيل الجمع بينهما ويتجلى ذلك في آيات كثيرة منها:

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزواجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدنَ الحَياةَ الدُّنيا وَزينَتَها فَتَعالَينَ أُمَتِّعكُنَّ وَأُسَرِّحكُنَّ سَراحًا جَميلًا۝وَإِن كُنتُنَّ تُرِدنَ اللَّهَ وَرَسولَهُ وَالدّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلمُحسِناتِ مِنكُنَّ أَجرًا عَظيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]

لاحظ كيف أنه لم يقل إن كنتن تردن الحياة الدنيا والآخرة, كما يحاول البعض فيقولون نريد الدنيا والآخرة, والحق أنهم مريدين للدنيا وحسب.

---

[1]

إن الإسلام يجعلني أبغض الدنيا أشد بغض, فالاغترار بها أحد الأسباب الأساسية للكفر إن لم يكن أولها, فالذين يكفرون إنما نظرا لحبهم للدنيا وتعلقهم بها ولذلك هم غير مستعدين لبيع أنفسهم وأموالهم لله عز وجل, وهذا يتجلى دوما عند المترفين الذين عندهم الدنيا فقد قال ربنا عز وجل مخبرا عنهم:

﴿وَما أَرسَلنا في قَريَةٍ مِن نَذيرٍ إِلّا قالَ مُترَفوها إِنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ كافِرونَ﴾ [سبأ: ٣٤]

إن إرادة الدنيا والتعلق بها مناف للإيمان بالآخرة, ولذلك نجد ربنا عز وجل يتوعد مريدي الدنيا بالعذاب الشديد في آيات عدة منها:

﴿ مَن كانَ يُريدُ الحَياةَ الدُّنيا وَزينَتَها نُوَفِّ إِلَيهِم أَعمالَهُم فيها وَهُم فيها لا يُبخَسونَ أُولئِكَ الَّذينَ لَيسَ لَهُم فِي الآخِرَةِ إِلَّا النّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعوا فيها وَباطِلٌ ما كانوا يَعمَلونَ ﴾ [هود: ١٥ -١٦]

كما يخبرني أنها كانت سببا رئيسيا في الكفر وذلك في عدة آيات منها:

﴿ الَّذينَ اتَّخَذوا دينَهُم لَهوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا فَاليَومَ نَنساهُم كَما نَسوا لِقاءَ يَومِهِم هذا وَما كانوا بِآياتِنا يَجحَدونَ ﴾[الأعراف: ٥١]

لذلك انتمائي للإسلام يجعلني أنظر للدنيا نظرة العدو الذي يحاول أن يغرني ويرديني، ومن ثم أنظر إليها بحذر شديد، وتعالٍ كبير، فهي دنية لا تستحق اهتمامي الذي يجب أن يكون منصبا على الدار الآخرة.

تأثير انتمائي للإسلام على أخلاقي

كما رأينا من قبل يتجلى الإسلام في الأخلاق الحسنة, بحيث أن الترابط بين الإسلام والأخلاق الحسنة ترابط وجودي وعليه فإن انتمائي للإسلام يعني التخلق بأحسن الأخلاق

إن التخلق بأحسن الأخلاق الذي يفرضه الإسلام لا يأتي من دوافع نفسية تسعى لتحقيق مكاسب مادية كما هي الحال في نظرية الأخلاق العلمانية, وإنما يأتي بسببين أولها تعبدي مباشر فالله تعبدنا بأحسن الأخلاق

والثاني تعبدي أيضا ولكنه غير مباشر ويكمن في فعل الأخلاق لكونها خير, وقيم عليا, والله أمرنا بأن نكون من أهل الخير المجرد عن المنفعة المادية

إنما أريد قوله أن المسلم يتخلق بالأخلاق الحسنة لذاتها, بغض النظر عن المردود المادي, فهي في حد ذاتها قيمة نهائية يسعى لها المسلم, فالمسلم مثلا يقول الحق ولو على نفسه, لأن الحق قيمة عليا يسعى لها المسلم.

بينما الكافر يقول الحق حين يكون الحق في خدمته لأنه يجعل من ذاته قيمة نهائية ولا اعتبار للحق عنده إلا بقدر ما يخدم ذاته.

تأثير انتمائي للإسلام على علاقاتي الاجتماعية

سبق وذكرت أعلاه تأثير الإسلام على الهوية, والذي ينعكس على العلاقات الاجتماعية, فكل علاقاتي الاجتماعية يجب أن تمر على غربال الهوية, فالقريب اجتماعيا إذا لم يكن مسلما فهو بعيد مني

وكذلك البعيد اجتماعيا إذا كان مسلما فهو قريب مني, أي أن انتمائي للإسلام يعني أن أنظر لعلاقاتي الاجتماعية من خلال الإسلام وحده فهو من يحدد من أوالي ومن أبر وشكل العلاقة بيني وبين محيطي الاجتماعي

فمثلا علاقتي بالوالدين وبالأبناء والزوجة والأخوة كلها محددة سلفا وتتغير بناء على علاقتهم بالإسلام كل بحسبه.

تأثير انتمائي للإسلام على حياتي الفكرية

الإنسان يتصرف بناء على قناعاته الفكرية, ومن ثم فتأثير الإسلام على حياتي الفكرية تأثير عميق جدا, لأن الإسلام هو العدسة التي أرى من خلالها نفسي ومحيطي والكون أجمع

الإسلام دين الحق ولذلك فهو يقدم إجابات واضحة وحقيقية الأسئلة فكرية شغلت الإنسان منذ القدم, كالأسئلة الوجودية مثل أصل الإنسان والهدف من خلقه وحقيقة الكون من حوله والعلاقة بينه وبين الكون

كل ذلك وأكثر من ذلك مبين بوضوح في وحي الله عز وجل قرآنا وسنة, كما أن الله بين الجانب الذي على الإنسان أن يشغل تفكيره به وهو الكون من حوله ونمط التفكير الذي عليه أن يفكر به وهو استشعار عظمة الله سبحانه وعظمة المهمة التي خلقنا من أجلها

وكمثال على الآيات التي تتحدث عن مجال الفكر ونمط التفكير أذكر قول الحق سبحانه:

﴿إِنَّ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَاختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الأَلبابِ۝الَّذينَ يَذكُرونَ اللَّهَ قِيامًا وَقُعودًا وَعَلى جُنوبِهِم وَيَتَفَكَّرونَ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ رَبَّنا ما خَلَقتَ هذا باطِلًا سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]

فانتمائي للإسلام يعني أنه عليَّ التفكر في خلق واستشعار عظمة الله عز وجل وعظمة عبادته التي من أجلها خلقت.

للأسف الشديد عندما بدأ العمى في الأمة في عصر الخليفة العباسي المأمون اشتغل الناس بفلسفة الإغريق والتي هي مجرد نظريات من أناس لم يوحي الله عليهم شيئا, وكل ما توصلوا مجرد ظنون وأوهام لا يغني من الحق شيئا, والحق أن الناس لم تأملوا القرآن والسنة لوجدوا الإجابات الشافية على الأسئلة التي تبحث فيها فلسفة الإغريق ولكنه العمى صرفهم عن نور الله عز وجل وجعلهم يتعلقون بأوهام كفرة وثنيين .

فما كانت النتيجة ؟!

لقد حل الدمار والخراب بالأمة من ذلك اليوم, فانقسمت إلى فرق ومذاهب وتشتت وضعفت لدرجة أن الصليبيين الضعفاء جدا استطاعوا أن يحتلوا الأقصى ويفعلوا المجازر بأهل الشام كما هو معروف في التاريخ, ولكن ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فحقبة المأمون التي هي بداية النكسة, يعتبرها أغلب الناس قمة الحضارة والرقي ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تأثير انتمائي للإسلام على حياتي السياسية

في مجتمعاتنا الجاهلية تعتبر السياسة نظريا في خدمة الفرد والمجتمع, فالبرامج السياسية عادة تقدم خططا لخدمة المجتمع والدولة, فهل هكذا شرع الله؟

في الواقع في الإسلام السياسة لا علاقة بالرفاه الاقتصادي للشعب أو ما شابه, وإنما تنصب على خدمة الدين وحسب.

محمد صلى الله عليه وسلم أول أمير لهذه الأمة, ما كانت خططه التنموية ؟!

ما كانت خططه للرفع من مستوى الصحة؟

ما كنت خططه للرفع من مستوى المعيشة؟

الإجابة على كل تلك الأسئلة لا شيء.

نعم لا شيء، فلم تكن عنده صلى الله عليه وسلم خطط تنموية لخدمة الرعية مطلقا، ولم تكن في اهتماماته أصلا، وإنما كان يسوس الرعية سياسة مختلفة تكمن في خدمة الدين وحسب

أي أنه صلى الله عليه وسلم كان همه الوحيد هو خدمة الإسلام، وتسخير الرعية لذلك، وذلك من خلال بناء إيمان سليم في نفوس الرعية وحسب

أي أنه بالرغم من المجاعة التي كانت الرعية تعيشها لم يهتم بتوفير اكتفاء ذاتي أو ما شابه، وإنما اهتم بإقامة الدين وسط الرعية وحسب.

أي أن انتمائي للإسلام يعني أن تكون حياتي السياسية هي لخدمة الدين وحسب، لا اعتبارات لأي مكاسب دنيوية، وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى حين قال:

﴿ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق، فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا، فصدقه رجل، ثم قرأ هذه الآية: {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا﴾

فحين يبايع الرجل الإمام لأجل الدنيا لا يكلمه الله يوم القيام ولا يزكيه ولا ينظر إليه وله عذاب أليم، لأن الإمام لا يبايع لأجل الدنيا وإنما ليقيم الدين فهذه هي مهمته التي عليه أن يقوم بها.

هذا المعنى يتأكد بوضوح في قول الحق سبحانه:

‹الَّذينَ إِن مَكَّنّاهُم فِي الأَرضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَروا بِالمَعروفِ وَنَهَوا عَنِ المُنكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الأُمورِ› [الحج: ٤١]

فكما تلاحظ لم يكلف الله المسلمين بغير إقامة الدين في أنفسهم ونشره بين الناس وحسب، فهو لم يقل عنهم أنهم بعد التمكين سعوا في المشاريع تنموية أو ما شابه، مثل البنى التحتية.

قد يقول البعض طيب إذا لم نهتم بالتنمية سوف تظل الدولة الإسلامية محتاجة، وهم بقولهم هذا يكشفون عن جهلهم بمقاربة الإسلام للتنمية والتي سبق وتحدثت عنها في مقال مستقل يمكن الرجوع إليه وخلاصتها أن الازدهار والتمكين وعد من الله لمن آمن، أي أنه علينا نحن إقامة الدين والله وعد بالتمكين

تأثير انتمائي للإسلام على حياتي الاقتصادية

رأينا أعلاه أن انتمائي للإسلام يعني العداوة للدنيا ومن ثم فإن الرفاه الاقتصادي ليس مطلبا للمسلم, بل العكس تماما فالله يحض المسلم على الإنفاق لدرجة أن المؤمن لا يكون مؤمنا حتى يكون منفقا كما أخبرنا ربنا عز وجل في قوله:

‹إِنَّمَا المُؤمِنونَ الَّذينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَت قُلوبُهُم وَإِذا تُلِيَت عَلَيهِم آياتُهُ زادَتهُم إيمانًا وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلونَ۝الَّذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ وَمِمّا رَزَقناهُم يُنفِقونَ› [الأنفال: ٢-٣]

أي أن انتمائي للإسلام يعني عدم السعي لكنز المال، بل انفاقه في سبيل الله والتخفف منه قدر الإمكان .

إن انتمائي للإسلام لا يعني عدم السعي في طلب الرزق وإنما يعني أن لا يكون جمع الرزق هو الهدف بحد ذاته كما هو الحال عند الاقتصاديين, ولذلك نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتاجرون وينفقون انفاقا منقطع النظير فهم لم يكونوا يجمعون المال لذات المال كما هي حال الناس اليوم.

ذالكم بعض ما يعني انتمائي للإسلام وضعته لكم بشكل مختصر وسوف أكتب إن شاء عن كيف نكون مسلمين اليوم بهذا المعنى الذي تحدثت عنه في هذه السطور في القريب العاجل بإذن الله